كلاكيت

فوق الدار البيضاء الملائكة لا تحلق

محمد عسلي: فلمي الأول يؤسس لمدرسة مزعجة لا يحبها السياسيون

ليس ضربة حظ ان ينجح محمد عسلي في فلم واحد وتتردد أصداء هذا النجاح في وسائل الاعلام العربية والعالمية ويطلب الفلم في المهرجانات السينمائية الخاصة والعامة، وليس مصادفة ان يتبوأ العسلي مكانته الاخراجية بين السينمائيين المغاربة والعرب من خلال "فوق الدار البيضاء الملائكة لا تحلق" فلمه الأول الذي استحق الكثير من الجوائز العربية والعالمية، فالرجل يدرك ان الاخراج حرفة ورؤية فنية قبل ان تكون هواية، ويدرك ان عناصر العمل السينمائي تتازر فيما بينها لصناعة الفلم السينمائي الذي يطرح قضيته الفنية والانسانية.
وفي هذا اللقاء القصير يطرح المخرج المغربي محمد عسلي رؤيته الاخراجية في فلمه الأول، ويعقب على بعض التساؤلات الخاصة التي وردت في سياق اللقاء.

حاوره : وارد بد السالم

❖ فلمك "فوق الدار البيضاء الملائكة لا تحلق" هو "شبه جملة" لماذا لم يكن جملة مفيدة تامة.. هل وضع العنوان مقصود بهذا الشكل؟
. نعم.. هو شبه جملة.. لأنها جملة تشبه هذا الواقع العربي الذي فيه "شبه مواطن" و"شبه قضية" و"شبه مشروع مواطن" هناك "شبه مدينة" و"شبه حكومة" فكان من الضروري ان أوقع فيلمي بـ"شبه عنوان" لأن الفيلم لا يبدأ بعنوان وإنما ينتهي بإمضاء وهو بمثابة عنوان مكون من شبه جملة.. سترى ان ثمة شيء مغيب إلى أجل مسمى ، فأنا احمل هماً انسانياً اكبر من الهم السياسي؛ فالانسان مغيب من قبل مديري الحكومات وأنا ابحث عن تقديس الإنسان، ثمة شبه حكومة وثمة شبه إنسان، هذا واقع وكثيرون كتبوا عن العنوان محبذين الجملة التامة وليس شبه الجملة، لكن هذا ليس ابتداعاً مني، فالعرب القدامى كانوا يسبقون الفعل ويؤخرون النعت، وأنا وضعت العنوان هكذا بشكل مقصود، عملت العكس عما هو دارج في الصياغات الأدبية..

❖ انه فلمك الأول الناجح، أين تجارب الآخرين عليه!؟
-انا من المدرسة الإيطالية، ومارست المهنة مع الإيطاليين، لمدة ٢٨ سنة، ونشاطي السينمائي بدأ عندما كنت طالباً في ايطاليا، عملت خلالها مساعد مصور ومخرج ومونتير ومنتج وساهمت في عدد من الأفلام القصيرة.

❖ أين يضعونك اليوم بين السينمائيين العرب؟
- ليس لي أن اضع نفسي في هذا المكان أو ذاك، بقدر ما يضعني الآخرون في المكان الذي استحقه.. هناك مد جديد في السينما المغربية قادم من التجارب الأوروبية، والكثير من الشباب المغاربة تكونوا هناك وأرى ان لهم رؤية خاصة بهم عندما يطرحون إشكاليات ومشكلات المجتمع، وأتمنى ألا تذوب هذه التجارب في فكرة الاغتراب.

❖ موضوعك واقعي، لكنه ليس بالشيء الجديد، فقد تطرقت إليه سينما المهاجرين.. فما الذي يميز فلمك عن بقية التجارب السينمائية في هذا الموضوع؟
-تلك الافلام طرحت موضوع الهجرة بشكل عام، لكنني طرحت موضوع (الاجتثاث) وسترى ان شخصيات الفلم ليست مهاجرة؛ بقدر ما هي مجتثة، فكل شخصية اجتثت من مكانها رغماً عنها، ألا ترى معي أنه اجتثاث أكثر من كونه هجرة وإنه الاخطر على المجتمع! طرحت هذا الاجتثاث كنفي انساني؛ فالمهاجر يهاجر عن طيب خاطر لأنه ارتضى ان يهاجر، لكن الذي يجتثونه من مكانه ينفونه داخل مجتمعه ومدينته وتاريخه الشخصي.

❖ هل تريد القول ان العاصمة أو المدينة هي وحش مفترس للقادمين إليها؟
- المدن العربية يسيطر عليها جهل الحكومات العربية، لأنهم يجهلون الفضاء الفني لهذه المدن، يعاملونها كمدن حسب، مدن سكنية للنوم أو للمأوى، ولا يتعاملون معها كمدن نابضة لها فضاءات إنسانية، والمدينة كما اعتقد لها قلب نابض وفضاء فسيح، والمدينة التي طرحتها لا تشير إلى ذلك.

❖ هل الدار البيضاء في الفلم هي الوطن العربي؟
- نعم هي الوطن العربي.

❖ موضوعك يكاد يكون مشتتاً بسبب التوزع بين شخصيات لم يكن الانتقال إليها سلساً، هل هذا ناجم من عدم الإمساك بخيط العقدة التي طرحت اشكالياتها في الفلم؟
-لست مع هذا الرأي، كان من السهل عليّ ان امسك بشخصية واحدة، لكن المشكلة الفنية التي قد أواجهها هي في أن السرد الفلمي سيكون عادياً، لذلك عمدت إلى ان اضفر العقدة السينمائية بثلاث شخصيات/ البربري والعربي والصحراوي/ وهؤلاء هم فسيفساء المغرب ومكوناته.. أنا اعرف ماذا أفعل وأعرف انهم خسروا المعركة، لكنهم خسروا معركة واحدة، وهؤلاء الناس لهم كرامة وعزة نفس وكانوا يقارعون عنف المدينة بكل شجاعة ولم يكونوا متشائمين، وحاولت من خلال هذه المأساة ان يظل الإنسان العربي محتفظاً بكرامته، ومع الأسف ان الإنسان العربي بلا كرامة، لكن شخصياتي لها كرامة!

❖ ثمة ملاحظات نقدية وفنية تتعلق بإيقاع الفلم البطيء وعدم الاتساق في بعض لقطاته السينمائية والتفاوت في أطوالها، ثم هناك الانتقالات غير الموفقة في المونتاج، كما أن الفلم خليط من مدارس واتجاهات سينمائية مختلفة المصادر..!!؟
- وحاولت انا ما حكيت لكم قصة، لكني حكيت عن شخصيات موجودة في الواقع، والمشاهد مصورة بموسيقاها الطبيعية وعلى المشاهد ان يأخذ دوره في ترتيبها. أعرف ان النقد عين أخرى ترى في الفلم ما لا يراه المشاهد العادي؛ فهناك من يرى تسلسلاً منطقياً في المونتاج مثلاً، لكني أقول اني لعبت لعباً منطقياً فيه، ومشهد (السوق) فيه رؤية جديدة مقصودة لن تجدها في أي فلم عربي أو مغاربي أو افريقي، وهو مونتاج خاص جداً، كما أود الفت نظرك إلى ان فلمي هذا هو أول فلم عربي فيه ثلج ويتخذ من الطبيعة الثلجية بعض مشاهدها المهمة، والفلم عموماً لا يمكن قراءته بشكل تقليدي لأنني لم احك قصة تبدأ وتنتهي، لم أصور الفلم في (ستوديو)، بل كان الفضاء الخارجي مفتوحاً أمامي بكل جمالية وكانت الطبيعة البكر تتحدث بتلقائية، فاختياري لها اختيار جمالي مقصود.

❖ هل ستبقى في فلمك القادم مع هذه اللوحة السوداوية؟
-طبعاً لا أريد ان أقضي بقية عمري مع الإنسان السلبي، أعرف ان الفقر مشكلة، لكن البؤس هو المشكلة الأكبر، فالفقراء يجب ان يعيشوا حياتهم بكرامة، وهنا لا بد من ان احمل النخب المثقفة مسؤولية كبيرة ليس اقلها التواطؤ على حساب كرامة الإنسان العربي! أنا رجل وطني وعندي قضية والفن يجب ان تكون فيه قضية وعلى مثل هذه الأفلام ان تثير الفاعل السياسي..

❖ هل يمكن لهذا الفلم ان يؤثر في الفاعل السياسي؟
-لا هذا الفلم سيؤسس لمدرسة مزعجة تثير الانتباه لا سيما وانه عرض في العالم كله وحاز على عدة جوائز وهذا معناه انه نجح في ان يخاطب الشعوب، ولم يكن هنا دوري سياسياً مباشراً، وقد عرضت الفلم في المغرب وشاهده المغاربة واحتفوا به احتفاءً كبيراً وهذا شيء جيد، علماً اني صورت الفلم في بلدي من دون قمع وأنا الآن أجني ثماره.

❖ وماذا تعمل الآن خارج النشاط السينمائي المباشر؟
-كونت مدرسة سينمائية في المغرب لا أظنها موجودة في البلاد العربية، وهي مدرسة خاصة أتمنى من خلالها أن اخلق جيلاً سينمائياً عربياً جديداً، فأنا روحي عربية وانا من سلالة الذي قال: "مكر مفر مدبر مقبل معاً" هل قال احد ذلك قبل امرئ القيس؟

أجانب هوليوود

علاء المفرجي

المصادفة وحدها جعلت من صناعة السينما الاميركية الأولى في مجالها، حيث أحدثت الحرب العالمية الأولى تغيرات كبيرة في هذه الصناعة التي كانت أمريكا تتقاسم أسواق العالم فيها مع انجلترا وايطاليا والمانيا والسويد، وأدى انشغال هذه الدول في الحرب مباشرة إلى انخفاض كبير في انتاجها السينمائي أدى إلى تدهور حال الاستوديوهات الأوروبية.
ولعل ذلك كان احد الأسباب التي جعلت من تلك الضاحية الصغيرة من ضواحي لوس أنجلس المعقل الأول للسينما في العالم.. وكان من الطبيعي ان تتوافد إليها المواهب من أوروبا على وجه الخصوص.. وكان الرهان هو أرضاء رغبة الجمهور، فما ان ظهر اعجاب الجمهور بنجمة العشرينيات الألمانية بولا ينجري في فيلم (العاطفة) حتى اسرعت هوليوود إلى احضارها، وعندما استحوذت الافلام السويدية على اهتمام الجمهور استقدمت هوليوود المخرج السويدي سيستروم ثم المخرج سيتلر، وهذه المرة مع ألمع نجمات السينما على الاطلاق جريتا جاربو.. وهكذا مع عدد كبير من النجوم والمخرجين الذين منحوا هوليوود فيما بعد تألقها.
ويبدو أنه بعد مرور ما يقرب من قرن على ذلك، ما زالت هوليوود ووفقاً لمنطق السوق وإنعاش الشباك تعمل بهذا المنهج.
وإذا كانت أوروبا لسنوات طوال هي الممول الأساس للمواهب في هوليوود، فان السنوات الأخيرة شهدت منافسين من أماكن أخرى حجزت لهم هوليوود مكاناً مهماً للإسهام في صناعتها.. لتتأكد الحقيقة التي صرح بها المخرج الصيني (انغ لي) الذي اصبح بفضل عدد قليل من الافلام احد أهم مخرجي هوليوود عندما قال: (ان السينما الأمريكية كانت ومازالت تتغذى من فكر وابداع المخرجين الأجانب..) فبعض أشهر مخرجي الافلام في هوليوود الآن هم من الاصول الأجنبية: وليام وايلر، ورومان بولانسكي، وجون وو، وانغ لي وآخرون غيرهم.
ولكن الجديد في هذا الأمر هو دخول مخرجين من أصول لاتينية بقوة لمشهد الإنتاج السينمائي الهوليوودي في السنوات القليلة المنصرمة.
فبعد ان رسخ المخرجون الآسيويون اقدامهم في هذه الصناعة وآخرهم الصيني انغ لي والهندي نايت شاميلان، جاء دور الأمريكيين الجنوبيين بفضل عدد من المخرجين المسلحين باساليب ورؤى جديدة وجدت في هوليوود أرضاً خصبة لاعمالهم امثال المكسيكي الفونسو كوارون مع عمل مثل (وانت أمي أيضاً) و(هاري بوتر) والبرازيلي (فيرناندو ميرييس) صاحب (مدينة الله) الذي رشحه أفضل مخرج قبل عامين. ومواطنه الذي لفت إليه الانظار هذا الموسم من خلال فيلم (مذكرات دراجة نارية).
وإذا كان البعض يأخذ على هوليوود أنها تعتاش على مواهب الأجانب فان البعض يذهب إلى ان هوليوود هي السبب في تفتح هذه المواهب وفرادة ابداعها باعتبار ان الدخول إليها امتياز يمنح السينمائي سمة الشهرة والتألق.

فيلم (خاص).. المخرج الأيطالي كوستانزو يرصد مشاكل الاحتلال في غزة

متابعة جودت جالي

مكان استراتيجي ولكنه ليس سوى بيت منعزل في الأرض الحرام بين قرية فلسطينية ومستعمرة أسرائيلية تسكنه عائلة فلسطينية أستولى عليه الجيش الإسرائيلي. الحكاية ذات بعد رمزي وكأن كاتب سيناريو تخيلها في رغبة منه لتكثيف فكرة عن مشاكل الاحتلال في قطاع غزة ومع ذلك فهي حقيقية. منذ عام ١٩٩٢ يعيش محمد وزوجته وأطفاله الخمسة في بيت واحد مع جنود أعداء. حاول الجنود أول مرة دفع العائلة الى الهرب ولكن محمدا على الرغم من رغبة عائلته أجبرها على البقاء قائلا (أن العيش لاجئا يعني الموت). قسم الجنود المنزل قسمين، أستقرت العائلة في الطابق الأرضي فيما أتخذت ثكنة الجنود الطابق العلوي مقرا لها. أستحوذ هذا النموذج على أهتمام وسائل الأعلام الممنوعة من الاقتراب. أصبحت مقاومة محمد الخاصة شأنا عاما. صور كوستانزو بكاميرا دائمة الحركة حالة انعدام الأمان وتتبع انعدام الراحة الذي تعيش في دوامته العائلة. بعد أن كانت النية ألتقاط صور توثيقية للفيلم قرر كوستانزو تصوير الفيلم كله في القطاع نفسه. الأطفال الذين مثلوا في الفيلم فلسطينيون من نابلس. فيلم (خاص) الذي حاز على جائزة الفهد الذهبي في مهرجان لوكارنو عام ٢٠٠٤ صور بلقطات متتالية وقصد أن يعطي انطباعا أن صوره ألتقطت من الواقع نفسه. ترتبط طوبوغرافيا الديكور بالحالة السياسية وتؤطر موضوعين للدراسة. في الأسفل داخل الحيز الخاص تحولت غرفة المعيشة الى سجن يقفل على العائلة أثناء الليل. مشاهد التدبير المنزلي، الكآبة، الأزمات، الانشطار. لم يكف أحد الأولاد عن مغادرة هذا المكان التعسفي، وآخر تملكته حمى القيام بالعمليات ضد الإسرائيليين. الأب الذي يعمل مدرسا للأدب ويرغب في أن يتابع أولاده دراساتهم ويهمه كثيرا أن لا يهجر أرضه عدته زوجته رجلا يتصرف بشكل لامسؤول فقد عرض عائلته للخطر، وجبانا لأنه يراعي متطلبات الجنود، لابل هو خائن لأن مقاومته السلبية تعطي أنطباعا أنه عقد أتفاقا مع العدو.
في الأعلى داخل الثكنة المحورة أو (المحسنة) يقيم الرجال المسلحون الأجلاف الذين يهددون حياة الآخرين ويفرضون على أصحاب الدار في دارهم سجنا انفراديا، على ضيوفهم إبراز أوراقهم الثبوتية ويخضعون للاستجواب ويؤمرون بعدم معاودة الزيارة. يمارس الجنود على الأب نفسه ضغطا عنيفا ويعاملونه معاملة الرهينة محكوم عليه بأن يعدم عند أقل تمرد.
ولكن وراء هذه الصورة الاستعارية المجازية لاحتلال أسرائيل فأن (خاص) يقدم مستوى قراءة ثالثة، فهل هي قراءة طوباوية ؟ تعمد مريم أبنته الكبيرة مدفوعة بالفضول وبالرغبة في التضامن مع والدها الى خرق القوانين. تصعد كل يوم الى طابق الجنود وتتجسس عليهم ولكن قائدهم يستميلها فيتحول هؤلاء (الأعداء) بنظرها الى (بشر)، يصبح الجندي السمين والآخر عازف الناي والحارس الكئيب والشاب الذي يتفرج على مباريات كرة القدم في التلفزيون كلهم أليفين وضحايا هم أيضا لهذا الصراع. هنا يكون المشهد كذلك حقيقيا. أنه يبرز أمكانية التقليل من التوتر بين شعبين محكوم عليهما أن يتشاطرا بضعة كيلومترات مربعة من الأرض.
بطل الفيلم العربي محمد بكري من مواليد ١٩٥٣ ممثل معروف جيدا وفي الأراضي المحتلة وفي العالم منذ سنوات. كان محمد بكري أول عربي من عرب ٤٨ يدرس المسرح في جامعة أسرائيلية في السبعينيات.يقول بصدد الفيلم والتزامه السياسي (الوضع هنا لسوء الحظ يجبرني على زج ألتزامي السياسي في خياراتي المهنية) ففي عام ١٩٧٦ كان مشتركا في أول تظاهرة لعرب ١٩٤٨ بيوم الأرض فضربت القوات الأسرائيلية المتظاهرين وقتلت منهم ستة عشر، ومن يومها لم ينفك يضع نفسه أمام العديد من التساؤلات عن الحالة الأسرائيلية العربية وعن موقفه منها. منذ ثلاث سنوات لم يرن هاتف منزله في مسقط رأسه الجليل الذي يسكنه منذ عشرين سنة حاملا أليه أي تكليف بعمل سينمائي وجاء ت الدعوة أخيرا من الخارج، فقد دعاه سافيريو كوستانزو للمشاركة ببطولة فيلمه الطويل الأول (خاص) الذي بدأ عرضه في فرنسا في السادس من هذا الشهر، ومن جديد يمثل محمد بكري دور الفلسطيني العادي ورب العائلة الذي يجد نفسه رغما عنه في خضم الأنتفاضة الثانية، فقد مثل عام ١٩٨٣ دور لاجيء فلسطيني في فيلم (حنة كي) للمخرج كوستا غافراس، ثم مثل عام ١٩٨٤ في الفيلم الأسرائيلي (خلف القضبان)للمخرج أوري برارباش حيث جسد دور سجين فلسطيني. مثل في نهاية الثمانينيات مع ثلاثة ممثلين أسرائيليين مسرحية تشجب الحرب في لبنان. في عام ٢٠٠٢ مثل فيلم (جنين.. جنين) الوثائقي عن سكان المخيمات واللاجئين، وهاهو الآن يواصل ألتزامه الفني السياسي باشتراكه عام ٢٠٠٤ في هذا الفيلم الذي عرضنا له توا.

في (كابوس داروين) فضح وثائقي للعولمة

فاز فلم (كابوس داروين) بالكثير من الجوائز، بما في ذلك واحدة مكرسة لأفضل فلم وثائقي اوروبي لعام ٢٠٠٤ فقد قدم صانع الافلام النمساوي، هيربيرت سوبر كشفاً فاضحاً موجعاً للآثار السلبية الناجمة عن العولمة. فقد بقينا، ونحن نشاهد هذا الفضح الوثائقي الذي لا يصدق، نفكر بحكاية يسوع المأثورة حول الرجل الغني وذلك الفقير الذي يأكل الفتات المتساقط من مائدته. إذ ان ذلك بالضبط ما يحدث في هذه اللمحة من حال شركات العالم الأول المتعددة الجنسية التي تستغل الموارد التنزانية بينما يعاني الحرمان والجوع ملايين الأفارقة على مقربة منها. ويأتي الارتداد الانفعالي لهذا الفلم الوثائقي مرتبطاً بايحاءاته الفاضحة المتعلقة بحالات الظلم المفزعة الناجمة عن الراسمالية الاستهلاكية.
لقد وصل سوبر إلى بلدة موانزا الصغيرة، وهي موقع شركة اسماك مزدهرة تستخدم ألف افريقي. وانتاجاتهم من نوع سمك الفرخ الذي يصطادونه من بحيرة فكتوريا، وكان هذا السمك، في الستينيات، يؤتى به إلى مياه ثاني أكبر بحيرة استوائية على الأرض، وهي فكتوريا هذه، التي تشكل منبع نهر النيل أيضاً. وسرعان ما انقلبت احوال التجربة. فقد أباد سمك الفرخ كل الانواع الأخرى في البحيرة. وهذا السمك المفترس يأكل صغاره أيضاً، وتصدر الشرائح البيض إلى أوروبا وكل انحاء العالم، لتطعم مليوني إنسان كل يوم، لكن لا أحد، في القرى الأفريقية حول البحيرة، يمكنه ان يدفع ثمن الفرخ. وفي احد المشاهد الأكثر بشاعة، تتهيأ النسوة لبيع الأجزاء الفاسدة المرمية التي تخلصت منها المعامل. والرؤوس تطبخ وتباع للعوائل الفقيرة التي ليس لديها مصدر آخر للغذاء.
ولأن المسامك قد أخذت الكثير من الأفارقة بعيداً عن الزراعة، فإن هناك نقصاً في الرز وغيره من المواد الغذائية. وفي احد المشاهد، يتقاتل بعض أولاد الشارع من أجل حفنة من الرز. وتذكر تقارير الاخبار ان المطلوب من الولايات المتحدة، في وجه المجاعة في تنزانيا، ان تقدم مساعدة بقيمة سبعة عشر مليون دولار. ويجري سوبر لقاءً صحفياً مع حارس ليلي يكسب دولاراً واحداً في اليوم. فيقول ان أبنه يريد ان يكون طياراً. فالولد يرى الطيارات الروسية تطير فوق الرؤوس وتهبط على المطار بشكل منتظم. ويتحدث سوبر مع الطيارين والمشرفين على نقل الحمولات فيعلم انهم يغادرون بحمولة يومية قدرها ٥٠٠ طن من سمك فرخ النيل. وبعد عدد من الأسئلة المتواصلة يعلم أيضاً من احد الروس ان شركة هذا تجني اغلب أموالها من نقل الأسلحة لمختلف الحروب في افريقيا. وقد قام بنقل دبابات ومدفعية في طائراته إلى انغولا.
ويقول روسي آخر، رداً على سؤال حول الحروب في المنطقة، انه لا توجد أية حروب وان اغلب المشاكل تنبع من حقيقة ان الأفارقة لا يحبون ان يعملوا وبالطبع، فان العكس هو الصحيح. فليس من السهل الحصول على عمل وينصرف الرجال اليائسين إلى الكحول والعاهرات. ويسبب الإيدز الكثير من الوفيات، تبعاً لذلك.
وبينما يعرض احد أصحاب المعامل سمكة ميكانيكية تغني: (لا تقلق، كن سعيداً)، تنوح عاهرات على موت صديق لهن طعنه أوروبي غاضب حتى الموت. وفي الوقت الذي يتحدث فيه مسؤولو الاتحاد الأوروبي بفخر عن المسامك التي شاهدوها في تنزانيا، يقوم الأولاد المكتئبون الذين يعيشون وينامون في شوارع موانزا بتذويب مواد الزوم البلاستيكية التي تستعملها المسامك ليكونوا منها غراءً يتنشقونه كمخدر. وبينما يقر السياسيون المحليون بانهم متهمون اساساً ببيع بلدانهم، فان اعداداً غفيرة من اخوانهم واخواتهم يعانون من الجوع حتى الموت، ويذبحون في حروب أهلية أو يقتلهم الإيدز.
ولا يميز سوبر بين المقاولين، والطيارين الروس، أو السياسيين، هنا، كمسببين للشر. لكنه يبين بالفعل ان نظام العولمة بكامله يجعل من الممكن بالنسبة لأولئك المرتبطين بهذا المشروع المربح التأكيد على النجاح فوق كل القيم الإنسانية وهم قادرون على النظر بطريقة أخرى، ونجد نحن ان من الصعب علينا القيام بالشيء نفسه بعد مشاهدتنا لهذا الفضح الفعال لعواقب الرأسمالية المثيرة للصدمة.

ترجمة: عادل العامل
عن: Spirituality Health